الباب الثامن

استخدامات ثورية للباراسيكولوجى
فى التخابر الحربى والسياسى للدول

تمهيـــد وتبويب

لعل أخطر تطور عملى لأبحاث البار اسيكولوجى وأحدثه هو محاولة استخدام هذه الملكات غير المألوفة فى النشاط الحربى والسياسى للدول. وقد بدأت هذه الأبحاث بطيئة متر ددة بين الشك واليقين ، أو بين اليأس والأمل ، والنجاح والفشل . إلى أن قطع العلماء الباحثون بأن بمقدورها أن تلعب دوراً فعالا فى السلم والحرب فى خدمة النشاط الحربى والسياسى معاً .

خصوصاً منها ظواهر الجلاء البصرى Clairvoynce ، والتخاطر Telepathy ، وتأثير العقل فى المادة الصلبة Psychokinesis وأمثالها . . . فأقبلت الدول الكبرى على الإنفاق بسخاء على هذه الأبحاث .

وكانت النتائج الإيجابية وفيرة إلى حد ينبغى أن يشد الانتباه . وإلى حد أن أصبح من السائد فى هذا المجال القول بأن حروب العقل (أى الملكات الروحية) سوف ترث فى المستقبل الحروب النووية ، أو الصاروخية ، أو الحروب بالأجهزة الالكترونية بوجه عام .

وفيما يلى أعرض طائفة من إرهاصات هذا التحول الخطير فى فصلين :

الفصل الأول

فى موقف الولايات المتحدة من استخدام البار اسيكولوجى فى التخابر .

الفصل الثانى

فى موقف الاتحاد السوفيتى من نفس هذا الموضوع .

وإذا كنت سوف اقتصر فى المقام الحالى على تقديم طائفة من البيانات المتعلقة بهاتين الدولتين دون غيرهما، فذلك لأنه لا توجد لدىّ حالياً بيانات وافية عن الدول الأخرى، وذلك رغم أن كل الشواهد تشير إلى أنها تمارس نفس النشاط لتحقيق نفس الأهداف. لكن فى صمت وهدوء الحكمة واضحة، ما دامت هذه الأبحاث تجرى بالذات لخدمة التخابر الحربى والسياسى الذى ينبغى أن يجرى فى صمت وكتمان على قدر الإمكان.

الفصل الأول

فى موقف الولايات المتحدة

من استخدام الباراسيكولوجى فى التخابر

البحرية الأمريكية تنفق على أبحاث الباراسيكولوجى

من حق القارىء أن يأخذه العجب عندما يسمع أن علم « الظواهر الخارقة للمألوف » له الآن استخدامات حربية وسياسية متنوعة . . . ومنها ما قد يتحكم فى المستقبل فى قوة الدول العسكرية ومصير الحروب أيضاً ! !

ولهذا فإن البحرية الأمريكية الحربية تنفق الآن بسخاء على بعض تجارب التخاطر ، وتشرف على بعض ظواهر تأثير العقل فى المادة . وقد حذوها حذوها الاتحاد السوفيتى محاولا اللحاق بها فى هذا الميدان ، ونشب بين الدولتين سباق ملتهب يشبه السباق الذى اندلع بينهما منذ الستينات بشأن سفن الفضاء والأقمار الصناعية .

وفى هذا الشأن تجد مقالا ضافياً بمجلة « العربى » عدد سبتمبر (أيلول ١٩٨٨) ، بعنوان « حرب الظواهر الخارقة » بقلم الأستاذ محمد حسن بيرقدار يحيل فيه القارىء إلى كتب وضعها علماء معروفون ، ومما ورد فيه : —

« سمع الكثيرون عن بعض القدرات الخارقة التى يتميز بها البعض : مثل رؤية شىء على بعد مئات الأميال ، وكسر الزجاج بتسليط النظرات الحادة إليه ، وغير ذلك . لكن ما لم نعرفه هو أن الدولتين العظيمتين تجريان بحوثاً مكثفة لتوظيف هذه الظواهر فى الصراع بينهما . . .

ويعتقد تشارلى روز Charlie Rose عضو اللجنة المختارة لشؤون المخابرات فى الكونجرس الأمريكى أن احتمال وقوع حرب « الظواهر الخارقة » هو احتمال حقيقى ،

وقد يستدعى فى يوم ما تبنى برنامج سريع يشبه « برنامج مانهاتن » الذى أدى إلى تصنيع أول قنبلة ذرية فى العالم .

أما العالم مارسيللو تروتزى الذى يعمل فى مركز أبحاث الخوارق العلمية فى ولاية ميتشجان فيعتقد أن وزارة الدفاع الأمريكية ستتخلى عن واجباتها إذا لم تهتم بهذه الأبحاث .

« سباق العقل » يرث « سباق التسلح » !

ولعل أفضل دراسة تفصيلية عن التجارب التى أجريت فى حقل « الظواهر الخارقة » هى الدراسة التى أعدها العالمان راسيل تارج و كيث هارادى التى نشرت مؤخراً فى كتاب عنوانه « سباق العقل » وهو السباق الذى يتوقع العالمان أن يرث سباق التسلح الحالى ويليه .

والدكتور تارج عالم فيزيائى متخصص فى أشعة الليزر ، وعلم البصريات ، والموجات الكهرطيسية القصيرة المدى . وقد قضى عشرة أعوام قام خلالها بأبحاث مستفيضة فى حقل « الظواهر الخارقة » لحساب وزارة الدفاع الأمريكية « البنتاجون » وأجهزة المخابرات الأمريكية المختلفة ، وقد كلفت تلك التجارب عشرات الملايين من الدولارات .

أما التجارب الرئيسية فقد تعلقت بما أسماه تارج الرؤية الثانية second sight وهى التى بها يستطيع الأشخاص الذين وهبوا قدرات ذهنية خارقة وصف أماكن بعيدة جداً لم يشاهدوها من قبل ، وأن يصفوا أحداثاً تجرى فى مكان آخر يبعد عنهم آلاف الأميال .

أما الأمر الخطير والمذهل فقد كشفه العالم رونالد ماكريه فى كتابه الذى نشر مؤخراً تحت عنوان « حروب العقل » . فقد ذكر ماكريه أنه تم استخدام الظواهر الخارقة لتقييم خطة كلفت أربعين مليار دولار أطلق عليها « لعبة الصدفة » تتعلق بصواريخ (إم — إكس) النووية .

وتقضى تلك الخطة بتخزين الصواريخ فى مرابض سرية تحت الأرض بشكل

متنقل وغير ثابت . أى أن الصواريخ تتنقل من موقع إلى آخر باستمرار عبر أنفاق هائلة حفرت تحت الأرض لمنع السوفييت من تحديد مواقعها بدقة ، وبالتالى من تدميرها .

من أقوال ماكريه

وذكر العالم ماكريه نقلا عن مسئولة كبيرة فى البيت الأبيض تدعى باربارة هوينفر — متخصصة فى حقل « الظواهر الخارقة » — أن وزارة الدفاع (البنتاجون) قد أجرت عدة تجارب استخدمت فيها أشخاصاً يتمتعون بقدرات عقلية خارقة . أما دور هؤلاء الموهوبين فكان محاولة اكتشاف مخابئ صواريخ إم. إكس النووية مستخدمين قدراتهم الذهنية الخارقة .

وقد حزن خبراء وزارة الدفاع الأمريكية حين تمكن هؤلاء الأشخاص من اكتشاف مواقع الصواريخ ، إذ يعنى لهم ذلك تلقائياً أن السوفييت سيكشفون مخابئ تلك الصواريخ لا محالة .

لهذا فقد استنتج خبراء وزارة الدفاع الأمريكية أن مرابض الصواريخ عرضة للهجوم السوفييتى المعادى ، وبالتالى قرروا إلغاء الخطة بأكملها .

وذكر العالم ماكريه أن التجربة المذكورة هى حلقة من سلسلة تجارب تقوم بها وكالة المخابرات المركزية (سى . آى . إيه C.I.A) والجيش ، والبحرية ، وسلاح الجو ، وسلاح المارينز (مشاة البحرية) ، ووكالة الفضاء (ناسا N.A.S.A) ووكالة المخابرات الدفاعية التابعة للبنتاجون ، ودائرة التحقيق الفيدرالى (إف . بى . آى . F.B.I) ، وشعبة مكافحة المخدرات منذ أكثر من ثلاثين عاماً . وذكر ماكريه أن وزارة الدفاع الأمريكية تنفق سنوياً ستة ملايين دولار على التجارب المتعلقة بالظواهر الخارقة منذ أعوام طويلة .

* * *

هذا وقد اعترف الجنرال المتقاعد دانييل جراهام Daniel Graham رئيس « وكالة المخابرات الدفاعية» التابعة للبنتاجون أن « المؤسسة العسكرية » أنفقت كميات

كبيرة من الأموال على التجارب المتعلقة بالظواهر الخارقة، وأن الإنفاق والبحث ما زالا مستمرين .

أما « وكالة المخابرات المركزية » فتنفق على هذا النوع من التجارب عبر معاهد خاصة تمولها الوكالة لإبقاء نفسها بعيدة عن الشبهات . واستشهد العالم ماكريه بمذكرة سرية للوكالة أكدت فيها أن التجارب يجب أن تستمر دون السماح لأية جهة بالتدخل أو توجيه أية أسئلة بهذا الخصوص .

أما البنتاجون فهو يرفض استخدام اصطلاح «الظواهر الخارقة» حتى لا يلفت النظر إلى أهميتها ، ويفضل استخدام تعبير غامض ومضلل وهو «أنظمة نقل المعلومات البيولوجية (نسبة إلى البيولوجيا ، أى علم الحياة) غير المألوفة » .

ويخشى العلماء الضليعون فى هذا النوع من البحث أن يتمكن الاتحاد السوفييتى من إحراز « اختراق » فى هذا المجال ، لأن ذلك سيؤدى حتماً إلى إلغاء فاعلية القوات المسلحة الأمريكية وإصابتها بالشلل .

كما أن إسرائيل ضليعة فى هذا الحقل ، وتقوم بتجارب منذ أوائل الستينات ، وتستخدم مجموعة من ذوى القدرات الخارقة الذين هاجروا إليها من الاتحاد السوفييتى فى تلك الفترة ، وفى الفترات اللاحقة . . كما أن إسرائيل تستخدم « الموهوبين » لمعرفة ما يجرى فى الجيوش العربية ، وفى أجهزة الأمن والحكم العربية ! !

* * *

وذكر ماكريه أن المتخصصين فى حقل « الظواهر الخارقة » العاملين فى « وكالة المخابرات المركزية الأمريكية » زاروا مؤخراً أحد كبار المتخصصين فى هذا المجال للحصول على معلومات عن إمكانية التشويش على كمبيوترات (العقول الحاسبة) وزارة الدفاع والمخابرات السوفييتية (كيه . جى . بى . K.G. B) واقتناص المعلومات منها .

وذكر ماكريه أيضاً أن الرئيس الأمريكى السابق جيمى كارتر استدعى فى عام ١٩٧٦ عالماً إسرائيلياً متخصصاً فى حقل العلوم الذهنية للحصول منه على بعض المعلومات

عما يجرى فى الاتحاد السوفييتى بهذا الخصوص . وأن الرئيس جيمى كارتر علم أن الاتحاد السوفييتى يقوم بفحص جميع الأطفال السوفييت لاكتشاف أولئك الذين يتمتعون بقوى ذهنية خارقة لعزلهم عن غيرهم وتطوير قدراتهم ، ثم استخدامهم لحساب « المؤسسة العسكرية والأمنية السوفيتية » فى مرحلة لاحقة .

وذكر ماكريه أن الرئيس جيمى كارتر أمر فى عام ١٩٧٧ بإجراء مراجعة على أعلى المستويات لتقييم القدرات السوفيتية فى حقل « الظواهر الخارقة » . وقد رفع المكلفون بالتحقيق تقريراً إلى مكتب الرئيس فى عام ١٩٧٨ ذكروا فيه أنهم لم يتمكنوا من العثور على أدلة قاطعة تؤكد وجود برنامج سوفيتى لدراسة الحرب الذهنية الخارقة على نطاق واسع ، إلا أن التقرير أكد أن السوفييت يتابعون البحث فى هذا المجال باهتمام وجدية[1] » .

من الاختبارات اقامة هناك

ومن التجارب التى أجرتها الولايات المتحدة اختبارات التخاطر داخل الغواصة النووية نوتيلوس Nautilus فى سرية تامة وبأمر من إدارة البحرية الأمريكية ، وذلك لوثيق صلة هذه الاختبارات بالدفاع الوطنى . لكن أذاعت « الجريدة الدولية للباراسيكولوجى » International Journal Of Para-Psychology بعض أنباء محدودة عنها .

ومنها أن مختبراً فى الظواهر غير المألوفة كان يجلس فى معمله . وآخر كان موجوداً بداخل هذه الغواصة على بعد ميلين من الأول . ويومياً فى ساعة محددة كان المختبر الأول يبعث إلى الغواصة بصور خمسة أشكال مختلفة (طبقاً لبطاقة زينير Zener التى ابتكرها العلامة جوزيف راين J. B. Rhine لدراسة التخاطر) . وكان يتم اختبار كل شكل منها اعتباطاً بواسطة جهاز آلى .

وكان الشخص الآخر موجوداً فى الغواصة العائمة تحت سطح الماء . ويقوم بتدوين

---

(١) عن مجلة « العالم العربى » عدد سبتمبر (أيلول ١٩٨٨ ص ٣٠ – ٣٣) . والنشاط السوفيتى فى هذا المجال هو موضوع الفصل المقبل .

الأشكال كما يتلقاها ذهنياً على ورقة بيضاء . وعند عمل مضاهاة — بين هذه الأشكال وتلك التى بعثت إليه — اتضح أنه نجح فى أن يرسم رسماً صحيحاً ثلاثة أرباعها[١] .

* * *

ومن أهمها أيضاً اختبارات التخاطر التى جرت بين سفينة الفضاء أبوللو ١٤ — التى كان من ضمن ركابها رائد الفضاء إدجار ميتشل Edgar Mitchell وهو وسيط تخاطر قوى — وبين مركز أرضى للمراقبة ، وكان ميتشل قد خضع لاختبارات دقيقة فى التخاطر قبل اختياره للوصول إلى القمر فى سفينة الفضاء[٢] .

وقد سردت هذه الاختبارات بالتفصيل « جريدة الباراسيكولوجى » Journal of Parapsychology الأمريكية (عدد٢ من المجلد الخامس والثلاثين الصادر فى شهر يونية ١٩٧١ ، وهو عدد خاص عن هذه الاختبارات بالذات) .

ولا يتسع المقام الحالى للخوض فيها ؛ إنما يكفى القول بأن نتائج هذه الاختبارات خضعت لتحقيق طويل بمعرفة العلامة جوزيف راين ولجنة من العلماء الآخرين . وأنها لم تدع أى مجال للشك عندهم فى أنه كان هناك بالفعل تراسل عقلى متواصل بين سفينة الفضاء ومركز المراقبة الأرضى ، رغم البعد الهائل للمسافات ، وأنه لم يعد هناك محل لأى افتراض آخر[٣] .

---

(١) وهذا النجاح من المحال تعليله « باحتمالات الصدفة » التى لا يمكن طبقاً لها أن تتجاوز نسبة النجاح فيها ٢٠٪ فقط .

(٢) وذلك فى « مؤسسة البحث فى طبيعة الإنسان » التابعة لجامعة ديوك .

Foundation for Research on the Nature of Man.

(٣) للمزيد عنها راجع : كتاب رينيه برتراند عن « التخاطر والممالك غير المنظورة » .

René Bertrand : La Télepathie et les Royaumes Invisibles Paris 1974.

صفحة ٢٣ إلى ٣٨ . وتجد فى هذا الكتاب شرحاً وافياً لهذه الا ختبارات ، وللنتائج الإيجابية التى أسفرت عنها ، والتى لها صلة وثيقة بمستقبل التخابر الحربى ، وأيضاً بمستقبل « علم الإنسان » فى العديد من جوانبه الهامة .

الفصل الثانى

فى موقف الاتحاد السوفيتى

من استخدام الباراسيكولوجى فى التخابر

بيانات مبدئية

يتحدث عن النشاط السوفيتى فى هذا المجال باحث أمريكى يدعى مارتن إيبون Martin Ebon فى كتاب حديث عنوانه « الحرب الذهنية الخارقة » قائلا إن السوفييت اضطروا إلى تكثيف أبحاثهم فى هذا الحقل، حين رفعت إدارة المخابرات K.G.B إلى الكرملين تقريراً خاصاً سرياً مفاده أن البحرية الأمريكية قامت بإجراء تجارب متقدمة فى حقل التخاطر Telepathy (أى اتصال عقل بعقل آخر لسرقة المعلومات المخزونة به من مسافة بعيدة و دون علم صاحبه) .

و ذكر العالم ماكريه فى كتابه أن السوفييت يتعاملون مع حقل « الظواهر الخارجة عن الحواس » Extra Sensory Perception (رمزها العلمى E.S.P.) بمنتهى الجدية و الاهتمام ، وأنهم أحرزوا نجاحاً كبيراً فى استخدام هذا العلم للسيطرة و التحكم بإرادة الإنسان Psycho — Kinetic Energy (رمزها العلمى P.K) من مسافة بعيدة بطريقة « الريموت كنترول » Remote Control (الموجه اللاسلكى) .

* * *

« وقد زار العالم الأمريكى تارج الاتحاد السوفيتى و تحدث باستفاضة مع أعضاء « أكاديمية العلوم السوفيتية » و هى أعلى سلطة علمية هناك . و ذكر تارج أن السوفييت مهتمون جداً — على أعلى المستويات — بموضوع القدرات العقلية الخارقة ، و بالظواهر الخارجة عن نطاق الإدراك الحسى العادى ، وأنهم يقومون بتجارب مكثفة فى تلك الحقول بهدف الاستفادة منها فى المجال العسكرى .

وقال إنهم مهتمون بشكل خاص بحقل « الرؤية الثانية » (أى قدرة الوسيط على مشاهدة ما يجرى فى مكان آخر قد يبعد عنه آلاف الأميال . وهى من صور الجلاء البصرى Clairvoyance) وبحقل السيطرة العقلية على المادة P.K. والتحكم الذهنى فى الأجهزة المختلفة من مسافات بعيدة. وأكد تارج أن السوفييت مهتمون بهذه الأمور أكثر من اهتمام الولايات المتحدة بكثير » .

ثم يتساءل الأستاذ بيرقدار محرر هذه البيانات الخطيرة فى كل حرف منها : « هل ستتحقق نبوءة العالم راسيل تارج والعالم كيث هارادى ؟ هل سيرث سباق العقل سباق التسلح الحالى ! ! هل سينتقل العالم من عصر الحروب التقليدية والنووية إلى عصر « حروب العقل » كما تنبأ العالم الكبير رونالد ماكريه ؟ هل ستكون حرب الظواهر الخارقة سمة القرن الحادى والعشرين ؟ إن الزمن وحده سيجيب على هذه الأسئلة الغامضة والخطيرة . . . [1] » .

الصراع يندلع بين النظام الحاكم وبين العلماء الباحثين

ويقرر الباحث الفرنسى رينيه برتراند Renê Bertrand [2] عن النشاط السوفيتى فى هذا المجال أن الروس منذ فترة طويلة نشروا فى العالم أحسن الرائين voyants (أى أصحاب موهبة الجلاء البصرى) والوسطاء .

ومن جانب آخر فإن العلماء الروس — كما يعلم الجميع — ليسوا أقل جدية فى بحث هذه الأمور من زملائهم على الجانب الآخر من الأطلنطى . وهم لا يترددون أبداً فى المغامرة بتقديم فروض علمية كانت جديرة بأن تثير القلق عند رجال العلم المتقدمين فى أوروبا وأمريكا ، وهذا لا يمنع أن هذه الفروض قد ظهرت صحتها مما أثار الذهول عند زملائهم الأوروبيين .

وفى هذه الظروف — ومنذ فترة طويلة — توصل العلماء الروس فى ميدان التخاطر إلى

---

(١) عن مجلة « العربى » العدد الآنف الإشارة إليه ص ٣٣ .

(٢) فى مؤلفه « التخاطر والممالك غير المنظورة » المرجع السابق ص ٣٩ — ٥٣ .

التفوق على منافسيهم من الأمريكيين . وكادوا أن يصلوا إلى المركز الأول ما لم تعرقل جهودهم الفلسفة الماركسية ، وتبطئ منها . . .

فقد كان الماديون الماركسيون لاينظرون بعين الرضاء إلى جهود الباحثين فى الملكات الروحية ، ومنها خصوصاً — بل من باب أولى — التقدم المحتمل لظواهر التنبؤ بأحداث المستقبل[1] . وحتى وفاة ستالين كان الباحثون فى ظواهر الإدراك عن غير طريق الحواس مضطرين أن يخفوا اختباراتهم ويضربوا عليها حصاراً من الصمت الحذر .

أما بعد رفع الحصار فقد اندفع الروس من ذوى الخيال الواسع — شأن كل أبناء الجنس السلافى — إلى التجريب على أمل أن يسبقوا الأمريكيين أنفسهم فى ميدان التخاطر متبعين فى هذا الشأن طرقاً مختلفة ، إما بسبب الاتجاه المألوف لدراساتهم ، وإما بسبب العقيدة أو الحذر .

* * *

فحتى وفاة ستالين كان من الخطر على أى إنسان أن يكشف عن نفسه بوصفه مؤيداً لدراسات الروح كما يعلم الجميع . . . وذلك رغم أن ستالين نفسه قد استعان بخدمات وسيط معروف فى العالم يدعى ولف مسينج **Wolf Messing** استشاره من قبله أينشتين ، وفرويد ، وغاندى .

وقد فرض ستالين اختبارات قاسية جداً على ميسنج فى قراءة الفكر ، فاجتازها بنجاح . وربما لم تجر هذه الاختبارات مجرد التسلية ، بل لعلها كانت من ضمن الوسائل التى حاول ستالين أن يمارس بها سلطانه بالكامل على الروس !

وعندما رفع الحصار أخذ العلماء السوفييت ينشرون أخيراً أبحاثهم . وكان موضوع الغواصة الذرية نوتيلوس **Nautilaus** (التى أجرى فيها الأمريكيون أولى اختبارات التخاطر)[2] قد حفز حكومة موسكو إلى التساهل فى هذا الشأن ، والاتجاه فوراً إلى

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٤٤٦ — ٤٥٠ .
(٢) راجع ما سبق فى ص ٤٥٧ — ٤٥٨ .

التنقيب فيما يمكن أن يحققه هذا البحث من فائدة فى نطاق الدفاع الوطنى و التعليم .

وخارج إطار المحاولات السرية للبحث ، فقد أصبح للمختبرين الروس الحرية تقريباً فى نشر اختباراتهم ومتابعتها . وفى مقدمتهم ليونيد فاسيليف Leonid Vassiliev و ذلك منذ عهد ستالين .

فبمجرد اختفاء ستالين وعندما سمحت له الظروف نشر فاسيليف مؤلفاً عنوانه « الاختبارات فى سيكولوجيا العقل »[١] ضمّنه نتائج اختباراته على مدى ثلاثين عاماً والتى جرت فى كتمان ، ويقدر عددها بالمئات . وهى اختبارات متقنة ، ومحوطة بكل ضمانات الموضوعية و الرقابة العلمية .

وهو عالم جدير بالثقة ، فقد كان عضواً بأكاديمية العلوم فى الاتحاد السوفيتى ، وأستاذاً للفسيولوجيا بجامعة لينجراد Leningrad ، وحائزاً على جائزة لينين ، وصاحب إنتاج معروف .

ولم يتأثر فاسيليف بالأساليب الأمريكية فى اختباراته ، رغم أنه لم يحقق نتائج مدوية أو صارخة ، وتخصص فى الأوضاع العقلية التى تجرى تحت التنويم المغناطيسى .

وفى هذه الأوضاع يحدث نوعان من الظواهر المتداخلة أو المتلاصقة هما : الإيحاء و التخاطر . وهذا التداخل فيما بينهما ربما كان هو الحائل الذى حال بين راين ومدرسته من اتباع هذا الأسلوب حتى لا يكون تفسير النتائج أكثر تعقيداً .

وقد ظهر مؤلف فاسيليف فى الوقت الذى انكشفت فيه قصة الفواصة نوتيلوس (الأمريكية)[٢] ، وفى هذا الوقت استدعته حكومته للإفادة من علمه فى موضوع التخاطر فى الدفاع الوطنى . وبدأت الحكومة منذ سنة ١٩٦١ فى تمويل معمل البارا سيكولوجى الذى كان قد أسسه ، وأعطاه مرسوم صادر فى سنة ١٩٦٣ ليس الضوء الأخضر وحده ، بل أعطاه أيضاً الأولوية المطلقة فى أبحاثه .

---

(١) Les Experiences de Psychologie Mentale.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات أجنبية منها الفرنسية والانكليزية والألمانية .

(٢) وذلك رغم حصار الكتمان الذى كان مفروضاً عليها لاتصال موضوعها بموضوعات الأمن القومى .

نماذج من الأبحاث الروسية

وفى هذا الصدد يضع ستيوارت هولرويد Stuart Holroyd مؤلفاً حديثاً عنوانه « قوى الروح » (١٩٧٩)[١] يتناول فيه سبعة موضوعات هامة فى البار اسيكولوجى : منها موضوع عن « البار اسيكولوجى فى الشرق » (ويعنى به الاتحاد السوفيتى) ، ومنها موضوع آخر عن « البار اسيكولوجى الآن » مركزاً فيه بوجه خاص على ما يجرى من نشاط فى هذا الشأن فى الولايات المتحدة .

ومما ورد فى هذا الكتاب عن ليونيد فاسيليف L. Vassiliev — أن هذا العالم أعلن منذ سنة ١٩٦٢ أن هناك من رجال العلم الروس من أنجزوا بعض اختبارات هامة فى التخاطر منذ سنة ١٩٣٠ بأمر تلقوه من جهة عليا هناك . مما يحملنا على الاعتقاد بأن الاتحاد السوفيتى قد أعطى أهمية كبرى لاختبارات الإدراك عن غير طريق الحواس .

وغالبية هذه الاختبارات الروسية الأولى جرت على ظاهرة التنويم المغناطيسى عن بعد hypnose télepathique ، ومقتضاها حيازة القدرة على تنويم شخص يكون فى مكان بعيد ، وغير متوقع حدوث التنويم ، وهى تمثل قدرة تبعث على القلق ، فقد يمارسها إنسان على آخر بعيد عنه ، وقد لا يرضى عنها .

ومع ذلك فإن هذا ما حدث فعلا عندما نجح أحد زملاء فاسيليف عندما كان موجوداً فى سباستبول Sebastopol فى تنويم وسيط كان موجوداً فى لينينجراد Leningrad التى تقع فى الطرف الآخر من الاتحاد السوفيتى .

ويقرر رجال العلم فى روسيا أنه يوجد فى كل مائة شخص أربعة يمكن تنويمهم عن بعد عن طريق « التلباثى » . وهو تأكيد لم يصدر مثله عن أحد من الباحثين الغربيين .

* * *

---

[١] Les Pouvoirs de l' L' Esprit Paris 1979

وفى أوائل سنة ١٩٦٠ نشرت أعمال فاسيليف التى جرت فى الاتحاد السوفيتى بمناسبة ما قيل من إن البحرية الأمريكية تقوم باختبارات فى ظاهرة « التلباثى » بين الغواصات . أما قبل ذلك فإن الاختبارات التى كان يجريها العلماء الروس كانت محوطة بالكتمان لأنها تثير مشكلة أيديولوجية (أى مشكلة عقائدية نابعة من الارتباط بالفلسفة المادية التى يقوم عليها المذهب الشيوعى برمته) .

وفى سنة ١٩٦٦ أعلن الروس رسمياً نجاح اختبارات فى التلباثى جرت بين موسكو وبين نوفوسيبيرسك Novosibirsk فى سيبيريا على بعد ثلاثة آلاف كيلو متر ! ! وكان هذا التراسل العقلى بين صحافى فى موسكو يدعى كارل نيكولايف Karl Nikolaiev ، وأخصائى فى البيولوجيا الفيزيائية biophysicien يدعى يورى كامنسكى Yuri Kamenski ، وبإشراف أيبوليت كوجان Ippolit Kogan « مدير معهد البارا سيكولوجى » بموسكو .

فتحت رقابة مشددة من لجنة علمية تمكن أولهما من التراسل العقلى مع ثانيهما ناقلا إليه صوراً عن ستة أشياء سلمت له مغلقة فى ربطات متنوعة . وفى اختبار تال مع شخص آخر نجح نيكولايف فى تمييز ١٢ بطاقة عليها رسوم مختلفة تمييزاً صحيحاً من بين ٢٠ بطاقة أثناء إزاحة النقاب عنها فى موسكو (١) .

وهذا النجاح يمكن أن يعزى إلى الجلاء البصرى ، كما يمكن أن يعزى إلى التراسل العقلى ، وهو ما يفسره الروس بوجود نوع من « المذياع العقلى » Radio mentale عند بعض الأشخاص النادرين .

* * *

وفى اختبار آخر جرى بين موسكو ولينينجراد قاموا بتوصيل نيكولايف بمجموعة من الأجهزة لمراقبة ما قد يحدث له من تغيرات فسيولوجية ، وما قد يحدث لأمواجه العقلية . وقد جعلته هذه الأجهزة فى حالة من الترقب والانتباه الروحى .

---

(١) وهذا النجاح يتجاوز كثيراً نطاق احتمالات الصدفة التى قد لا تبلغ ٢٠٪ فقط ، وربما أقل من ذلك . أى تعلل النجاح فى ٤ حالات فقط من التمييز الصحيح للبطاقات لا فى ١٢ حالة كما حدث بالفعل .

Ci-dessus, le biophysicien Yuri Kamensky. Il prit part, avec Karl Nikolaiev, aux tests de télépathie à distance qui eurent lieu, en 1966, entre Moscou et Novosibirsk, en Sibérie, éloigné de 3 000 kilomètres.

Ci-dessous : Le docteur Ippolit Kogan, directeur de l'Institut parapsychologique de Moscou, qui dirigea les expériences de Kremensky et Nikolaiev.

يورى كامنسكى الوسيط الذى نجح فى اختبارات التخاطر بين موسكو وسيبيريا على بعد ٣٠٠٠ كيلومتر منذ سنة ١٩٦٦

إيبوليت كوجان مدير « معهد البار اسيكولوجى » بموسكو الذى أشرف على اختبارات التخاطر بين موسكو وسيبيريا

عن كتاب « قوى الروح » من تأليف ستيوارث هولرويد :

Stuart Holroyd: Les Pouvoirs de l'Esprit. Paris 1979 (Hachette).

ص ١١٦ ، ١١٧ .

ولم يكن نيكولاييف يدرى أن كامنسكى — وهو على بعد ثلاثة آلاف كيلومتر منه — مزمع إجراء اختبارات معينة فى التراسل العقلى معه ، ولم تكن لديه أية فكرة عن طبيعة الرسالة المزمع إرسالها إليه . وعندئذ سجل جهاز المقياس الكهربائى للمخ Encephalogramme نشاطاً متزايداً فى مخ نيكولاييف فى نفس اللحظة المحددة لبدأ عملية الاستقبال العقلى . وكان هذا الجهاز يتذبذب بحسب نموذج الرسالة الواردة ونوعها .

ثم يستطرد المؤلف إلى سرد بعض اختبارات أخرى فى البار اسيكولوجى جرت فى الاتحاد السوفيتى ، ومنها ما جرى بداخل معمل جامعة لينينجراد الخاص بهذه الأبحاث ، وإلى الحديث عن بعض الأجهزة الحديثة المفرطة الحساسية والمستخدمة فيها[١] .

وهذا ما يضيق عنه المقام الحالى الذى قصرته على إعطاء فكرة عامة عن مدى الاهتمام المتواصل بهذه الأبحاث هناك لتحقيق أهداف علمية وعملية متنوعة . ومن أهم أهدافها العملية استخدام أسلوبى التراسل العقلى والجلاء البصرى مجتمعين أو منفردين فى بعض أوجه التخابر العسكرى والنشاط السياسى فى روسيا وخارجها ، مهما كانت المسافة شاسعة ، ومهما جاوزت الآلاف من الكيلومترات ، ومهما تفاوتت الظروف الجغرافية والطقسية[٢] .

متابعة للابحاث الروسية

ويتناول هذا الموضوع أيضاً مؤلفان أمريكيان هما شيلا أوستراندر Sheila Ostrander ، ولين شرويدر Lynn Schroeder فى كتاب عنوانه « كشوف روحية خلف الستار الحديدى » (١٩٧٠)[٣] . ومما ورد فيه (بعد التلخيص والإيجاز) :

---

(١) Laboratoire de Cybernètique Physiologiques.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٨ — ١٢٤ .

(٣) Psychic Discoveries Behind the Iron Curtain.

وله ترجمة فرنسية بمعرفة آن أوينز وريموند أولشينا Anne Ouens et Raymond Olcina عنوانها : Fantastiques Recherches Parapsychiques en U.R.S.S.

وقد ظهرت فى سنة ١٩٧٣ وعليها نعتمد هنا .

هذا ما يجرى الآن فى قلب موسكو

فى قلب موسكو يوجد معهد للبار اسيكولوجى يضم حوالى ثلاثمائة من العلماء والإداريين . فى هذه الصورة تجد لفيفاً من علماء البار اسيكولوجى يحللون نتائج التخاطر التى حصلوا عليها . وهم من اليسار إلى اليمين : كارل نيكولاييف ، وإدوارد نوموف ، ويورى كامنسكى ، ثم وسيط التخاطر أليكس مونان . عن كتاب « نتائج مذهلة لما وراء الروح فى الاتحاد السوفيتى » . الترجمة الفرنسية ١٩٧٣ ص ٢٤٥ .

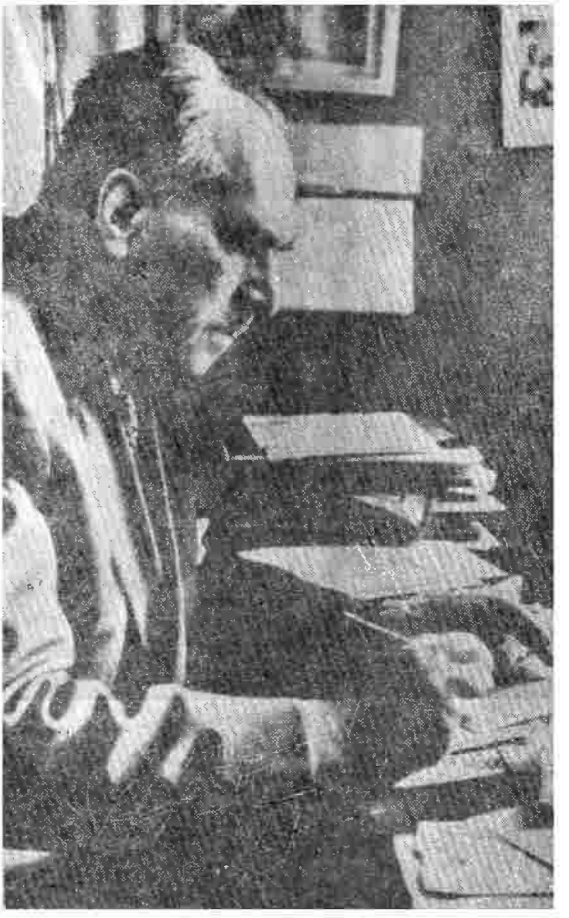

Ci-contre : Le Dr L.L. Vasiliev, qui fut le père de la parapsychologie soviétique. L'explication théorique de Vasiliev pour les facultés psi avait une base strictement physique : il les faisait remonter à des formes plus anciennes de l'évolution, et disait qu'elles opéraient probablement par le biais d'une énergie cérébrale encore inconnue.

ليونيد فاسيليف : أحد أعلام الباراسيكولوجى فى الاتحاد السوفيتى • وقد ركز أبحاثه ـ بوجه خاص ـ على التخاطر على أسس فيزيقية ـ بيولوجيـة

مقارنة بين أمريكا وروسيا

حسبما أورده كليمان د. ستون Clement W. Stone يقوم شطر من الباحثين فى معهد بافلوف Institut Pavlov بنشاط سرى ملتهب بالحماس لإجـراء أبحاث سرية فى البارا سيكولوجى فى هذا المجال . كما يوجد فى معهد ديروف Institut Durov عدد لا يقل عن خمسين من الباحثين المعنيين بدراسة التخاطر . وصرح أحد الروس بأنه توجد عدة مراكز سرية أخرى لإجراء هذه البحوث فى سيبيريا .

ويملك الاتحاد السوفيتى أكبر شبكة تجسس فى العالم للداخل وللخارج . ومن الواضح أن الجلاء البصرى والتخاطر سوف يكونان بمثابة مساعدين ثمينين لهذا النوع من النشاط ، وهو ما يفسر لماذا تقوم هذه الجهات بتمويل هذه الأبحاث .

وبعد أن يورد المؤلفان أوستراندر وشرويدر عدة بيانات تفصيلية عما يجرى فى الاتحاد السوفيتى يعقدان مقارنة بين ما يجرى هناك وما يجرى فى بلادهما . فيقولان إن هناك من الباحثين الأمريكيين من يؤكدون أن بلادهم متخلفة بما يوازى ثلاثين عاماً عن الروس . لكن يرد عليهم البعض الآخر « بأن أساليبنا العلمية متفوقة عليهم كثيراً ، وأننا قد حصلنا على نتائج أهم بكثير من نتائجهم » .

وينفق الاتحاد السوفيتى أكثر من عشرين مليون روبل سنوياً ، بينما لا توجد فى الميزانية الأمريكية العامة أية بنود خاصة بهذه الأبحاث . . .[1]

* * *

ثم يقول المؤلفان إن الفارق الأساسى بين البحوث الأمريكية والروسية يكمن فى أن البحوث الروسية تتجه رأساً إلى التطبيقات العملية لظواهر الإدراك عن غير طريق الحواس ، أما فى أمريكا فإن البحوث تحاول إقامة الدليل الإحصائى على صحة ظواهر البارا سيكولوجى .

---

(١) فى الواقع إن هذه البنود موجودة لكن تائهة ضمن ميزانيات البحرية والمخابرات والدفاع وما إليها . . . هذا بالإضافة إلى بنود الجامعات ومراكز البحث المعنية ، وهى لها ميزانيات خاصة بها .

وهناك فارق آخر ، وهو أن أبحاث البارا سيكولوجى معتبرة فى الاتحاد السوفيتى فرعاً من العلم متعلقاً بالفسيولوجيا والبيولوجيا . . . ففى جمهوريات الشرق نجد معامل للبارا سيكولوجى بداخل الجامعات ، والكليات الفنية ، والمعاهد . ويقوم على البحث علماء محترفون متفرغون تفرغاً تاماً .

أما فى أمريكا فإن البارا سيكولوجى يبدو كما لو كان فرعاً يمت بصلة قربى ضعيفة إلى السيكولوجى (علم النفس بمفهومه التقليدى) .

وثمة فارق ثالث وهو أن الروس يعملون فى شكل فرق أو جماعات تضم أخصائيين فى علوم متعددة ، للحصول على نظرة شاملة للمشكلات المتعلقة بها . أما فى الغرب فإن الباحثين يعملون منفردين ، أو بالتعاون مع واحد أو اثنين من العلماء فى نواحى تخصصهم .

وهناك فارق رابع أيضاً ، وهو أن السوفييت يتابعون عن قرب تقدم هذه الأبحاث فى الغرب . وسمعوا الحديث عن أعلام فى الإدراك عن غير طريق الحواس : مثل كايسى E. Cayce ، وكروازيه Croiset [1] ، وسيريوس Serios ، ويعرفون الإنجازات التى حققوها فى بلادنا . أما فى الغرب فإنهم قلما يعنون بالأبحاث السوفيتية .

وثمة فارق خامس ، وهو أن الأبحاث السوفيتية تستند قبل كل شئ آخر إلى أسس فسيولوجية ، أما فى الغرب فإنها تستند بالأكثر إلى أسس إحصائية ونفسية وفلسفية .

لكن الأبحاث الغربية فى البارا سيكولوجى — كما يلاحظ المؤلفان — تجرى منذ ثمانين عاماً ، فهى أوفر ثراء بالمعلومات من الأبحاث الروسية التى سرعان ما استوعبت حصيلة هذه الأبحاث الغربية لكى يدعموا بها إقبالهم الحديث على حقل البارا سيكولوجى .

ثم يستطرد المؤلفان إلى القول بأن العلامة الألمانى الممتاز فى البارا سيكولوجى — وهو هانز بندر Hans Bender رئيس قسم علم النفس بجامعة فرايبورج Fribourg قام بزيارات متكررة للمعامل السوفيتية . وصرح فى سنة ١٩٦٤ « بأن التجارب التى

---

(١) راجع ما سبق عنه فى ص ٤٢٦ — ٤٤٢ .

تجرى من وراء الستار الحديدى فى التخاطر ربما تظهر فى المستقبل أوفر أهمية مما نعتقده الآن » .

وكتب الدكتور جوزيف هيرست Joseph Hurst وهو من أبرز العلماء الطبيعيين فى أمريكا — بمناسبة اطلاعه على أعمال العالم السوفيتى فاسيليف Vassiliev قائلا : « إذا كان هذا الكتاب لا يثير الحاجة إلى اجراء بحوث جديدة فى الغرب فإننا سوف نخسر الكثير » !

تعليـــق

هذه البيانات السريعة المقتضبة بالغة الخطورة فى كل حرف منها ، وتمس مباشرة الصراع المحتدم بين حلفى الأطلنطى ووارسو لاستخدام القدرات غير المألوفة على أوسع نطاق ، وفى جميع أوجه النشاط العلمى ، والسياسى ، والعسكرى .

فهل آن لنا — نحن العرب — أن نستيقظ من سباتنا وأن نبدأ أبحاثنا وتجاربنا فى هذا الميدان الجديد من ميادين البحث بإشراف جهات مسئولة مثل مراكز البحث العلمى ، أو « وزارة البحث العلمى والتكنولوجيا » . وذلك بالأقل أسوة بإسرائيل التى تتابع بعناية كل تطور علمى أولاً بأول ؟ ! خصوصاً فى مثل هذا الإطار الحربى البالغ أقصى درجات الخطورة للمستقبل ، كما توقع العديد من صفوة العلماء فى الغرب والشرق .

أم كتب علينا أن نستسلم لنزعة الجمود ، ومنها نزعة الإغلاق ، حتى فى دوائر « المراكز القومية للبحوث العلمية » ؟ ! هذه المراكز التى أصبحت بسبب هذه النزعة نفسها مراكز يتحمل الشعب نفقاتها الباهظة لكى تجمد هى فى مكانها ، وتصبح « مراكز قومية لمناوئة البحث العلمى » بكل السبل والأساليب ؟ ! ولكى تصبح — على وضعها الراهن — محض دواوين حكومية خاضعة للروتين العقيم .

---

(١) أوستراندر وشرويدر . الترجمة الفرنسية ص ٣٤٥ — ٣٥٤ .

وهى عندما تمارس هذه المناوئة لا تمارسها دفاعاً عن قضية عادلة ، أو لمحاولة تحرير أرض مغتصبة ، بل بالعكس تمارسها دفاعاً عن أسلوب مرفوض من الجمود العلمى ، بطريقة شعورية ولا شعورية . . .

من يصدق أن هذه المراكز ممتنعة تماماً — حتى الآن عن إجراء أى بحث فى هذه الأمور ؟ ! بل هى ممتنعة حتى عن توجيه الباحثين فيها إلى محاولة المتابعة النافعة البناءة ، ولو بالترجمة أو بالتأليف أو بالأقتباس من الآخرين . بل هى ممتنعة حتى عن تزويد مكتباتها بالمراجع الجادة المتصلة بهذه الأمور ؟ !

إن هذا الموقف السلبى لمراكزنا العلمية ، ومعاهدنا ، وجامعاتنا ، ومؤسساتنا ، ووسائل إعلامنا ، إزاء هذا التطور الذى يجرى فى العديد من دول العالم يكشف عن مأساة حقيقية تفوق كل مأساة أخرى عند الحريصين على مستقبل بلادهم وحريتها .

ومآسى التواكل والإغلاق كثيرة ، ومنها يعانى شرقنا الأوسط كل المعاناة فى العديد من النواحى التى كان يجب أن يعنى العلماء المسئولون بفحصها وتمحيصها لخير الوطن والمواطنين .

وذلك بدلا من هذا السبات العميق الذى طال أمده وتفاقمت أضراره ، حتى لقد أصبح جديراً بكل مواطن أن يصرخ عالياً متسائلا : كيف المسير وإلى أين المصير يا قوم ؟ ! . إن المسافة بيننا وبين تلك الهيئات التى تصنع التطور العلمى ، والتى تتابعه أصبحت تقاس فى عصر اللاسلكى والطيران باللحظات والدقائق ، فأين نحن منها ؟ هل نحن حقاً من ساكنى نفس هذا الكوكب ، أم من سكان كوكب بعيد آخر تائه فى رحبات الأزل ، ويثير كل صور التساؤل والجدل ، كأنه المريخ أو زحل ؟ !

وأكتفى بهذا القدر للانتقال إلى موضوع آخر وثيق صلة بهذه المشكلة الكبرى — مشكلة التواكل والجمود ألا وهى مشكلة الصراع الأزلى بين القديم والجديد . وذلك لأقف عندها وقفة قد تكفى مؤقتاً لتحديد مواقع صحيحة لأقدامنا من هذا الصراع بين أنصار الجمود وأنصار التطور العلمى الذى لا يمكن أن يتوقف أبداً مهما توقفنا نحن ، ومهما اتخذنا منه موقف المناوأة والاعتراض بلا سبب مقبول ، ولا سند معقول . .